المرجعيات الثقافية في التربية

جعفر صباح عبد الواحد

أ.د. محمد جميل احمد

dr.mohammed@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب

الملخص

تعد المرجعيات الثقافية من العناصر الأساسية في العملية التعليمية؛ اذ تمثل الخلفية الحضارية والقيمية والمعرفية والدينية التي يعتمد ويستند عليها الفرد والمجتمع في نموهم وتطورهم؛ إذا لم نكن واعين لهذه المرجعيات، قد تصبح التربية بلا أسس ثابتة أو غير مرتبطة بالهوية والخصوصية الثقافية للمجتمع. فالتربية لا تنشأ في فراغ بل في سياقات اجتماعية وثقافية متعددة تتداخل وتتفاعل. عن سياق المرجعيات والتي نذكر منها ما يأتي:

الكلمات المفتاحية: المرجعيات الثقافية، التربية ،التنشئة الاجتماعية، القيم.

Cultural References in Education

Supervisor: Prof. Dr. Muhammad Jamil Ahmad

Al-Mustansiriya University – College of Arts – Department of Anthropology and Sociology

Jaafar Sabah Abdul Wahid

Al-Mustansiriya University/ College of Arts – Department of Anthropology and Sociology

Abstract:

Cultural references are fundamental elements in the educational process, representing the civilizational, value-based, cognitive, and religious background upon which the individual and society depend for their growth and development. If we are unaware of these references, education may become without a firm foundation or disconnected from the identity and cultural specificity of the society. Education does not

arise in a vacuum but rather within multiple, interwoven, and interacting social and cultural contexts. Among these references are the following:

Keywords: Cultural references, education, socialization, values.

اولاً: التنشئة الاجتماعية

التنشئة الاجتماعية في مفهومها العام هي: عملية التطبع الاجتماعي للإنسان او هي عملية بناء الشخصية الانسانية التي ينتقل خلالها الفرد من كائن بيولوجي عند مولده الى كائن اجتماعي Social being، يتعلم ممن سبقوه الى الحياة وينمي استعداداته ويسهم بدوره في التأثير على ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه. وتمتد هذه العملية من المهد الى اللحد وبالرغم من استمرار هذه العملية فأنها لا تأخذ طوال استمرارها شكلا واحدا وانما تتغير انماطها مع مراحل العمر المختلفة ففي الطفولة الأولى يكون للأسرة الدور الأول في هذه التنشئة التي تأخذ في الغالب صورة تطبيع في البيئة الاجتماعية الأولى التي يعيش فيها الفرد. ويستمد منها مقومات شخصيته ولذلك فان تأثيرها كبير في احداث التوافق الشخصي للإنسان وفي مقدرته على التوافق مع الآخرين وكلما كانت الأسرة وحدة اجتماعية متوافقة وتربط اطرافها علاقات ايجابية سليمة وكلما كانت العدالة بين الاطفال تأخذ مجراها في الاسرة كانت أقدر على تحقيق النضج الاجتماعي لأبنائها. اما اذ مر الطفل في سنوات طفولته الأولى بجماعة اسرية شاذة فمن المحتمل ان توجد فرصة للنمو الشاذ المنحرف فالتشكيل الذي يأخذه الطفل هو نتاج المؤثرات البيئية الاجتماعية او اللا اجتماعية وكلما اتيح للفرد فرص التربية الاسرية السوية من تشجيع وتقدير وتهيئة اسباب الطموح والمثل العليا تحققت له فرص النمو المتكامل من النواحي الجسمية والعقلية والوجدانية. (عارف، ١٩٩٠، صفحة ٨٣) لقد برز موضوع في الانثروبولوجيا – لايزال في بداية الطريق اسمه (الثقافة والشخصية) ليعالج أثر الثقافة والتنشئة الاجتماعية في شخصية الانسان.وقد يخضع ميدان انثروبولوجيون من امثال ماركيت ميدوروث بنديكت و كورا دبواه، كما يخضع بعض السيكولوجيين من امثال ابرام كاردنر الذي استهواه موضوع دراساته الاطفال والثقافات البدائية، وهذا موضوع تخصص الانثروبولوجيين. الإشارة هنا بان جميع السيكولوجيين الذين يعتمدون بدراسة تنشئة الاطفال اخذوا يعودون الى الدراسات الثقافية التي يقوم بها الانثروبولوجيون، وذلك ليتمكنوا من الربط بين العناصر الثقافية وبين بعض الظواهر السلوكية عند الأفراد . (عارف، ١٩٩٠، صفحة ١٠٤) والتنشئة الاجتماعية هي العملية التي من خلالها يقوم المجتمع بنقل ثقافته وقيمه من جيل إلى آخر، بما يضمن الحفاظ على هويته واستمراريته. من خلالها يتعلم الفرد السلوكيات الاجتماعية الضرورية وينمي مهاراته وقدراته على التفاعل بفعالية مع الآخرين. كما تشمل التنشئة الاجتماعية التفاعلات المعقدة التي يتعرف فيها الفرد

على العادات والمعتقدات والمعايير الاجتماعية، مما يمكنه من أن يكون عضوًا فعالًا ومشاركًا في مجتمعه. (العمر، ٢٠٠٤، صفحة ٦٠)

وتشترك التنشئة الاجتماعية في نقل الثقافة والقيم عبر مختلف مؤسسات المجتمع المدني، مثل الأسرة والمدرسة، وكذلك من خلال تفاعل الفرد مع أقرانه والأصدقاء والأحزاب السياسية ووسائل الإعلام. يمر الإنسان خلال حياته بمؤسسات متنوعة، بعضها يكون إلزاميًا مثل الأسرة والمدرسة، وبعضها طوعي يتم اختياره دون فرض. ومن خلال هذه المؤسسات، يكتسب الفرد الخبرات والقيم والاتجاهات والمبادئ، التي تُخزن في ذاكرته ووجدانه، لتؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في تكوين مواقفه وسلوكياته المستقبلية. (شريف، ٢٠٠٤، صفحة ١٣) ويمكن عد التنشئة الاجتماعية عملية التعلم الثقافي التي من خلالها يكتسب الفرد المهارات والمعارف اللازمة للقيام بدوره ضمن النظام الاجتماعي بشكل منظم. وعلى الرغم من اختلاف الأساليب والترتيبات المؤسسية بين المجتمعات، فإن هذه العملية تظل مستمرة طوال حياة الفرد مع مواجهة كل موقف جديد. إذ تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تكييف الأفراد مع أشكال الحياة الجماعية المختلفة، وتحويل الإنسان إلى كائن اجتماعي قادر على الانخراط في المجتمع، بما يضمن نقل التقاليد والقيم الثقافية الراسخة من جيل إلى آخر. (واخرون، ٢٠٠٢، صفحة ٦٥)

ويمكن تناول خصائص التنشئة الاجتماعية على النحو التالي: (زهران، علم النفس الاجتماعي، ١٩٨٨، صفحة ٢١٤)

١.**عملية تعلم اجتماعي:** يتعلّم الفرد من خلالها أدواره الاجتماعية والمعايير المرتبطة بها عن طريق التفاعل مع الآخرين، ويكتسب القيم والاتجاهات النفسية والمعرفية والأنماط السلوكية التي تتوافق مع الجماعة ويرتضيها المجتمع. كما تُعتبر عملية تكيف مع المؤسسات المختلفة في المجتمع.

٢. **عملية نمو:** يتحول الفرد خلالها من طفل يعتمد على الآخرين ومتمركز حول ذاته ويهدف فقط لإشباع حاجاته الفسيولوجية، إلى شخص ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية والفردية والاستقلال، قادر على ضبط انفعالاته والتحكم في إشباع حاجاته بما يتفق مع المعايير الاجتماعية.

٣.**عملية فردية وسيكولوجية:** بالإضافة إلى كونها اجتماعية، تهدف التنشئة الاجتماعية إلى اكتساب خبرات فردية واجتماعية أساسية في بناء الجماعات وضمان تماسكها.

٤. **عملية مستمرة:** لا تقتصر على مرحلة الطفولة أو المراهقة، بل تمتد إلى مرحلة الرشد والشيخوخة وحتى الممات.

٥.**عملية دينامية:** تتضمن التفاعل والتغير، حيث يأخذ الفرد ويعطي في التفاعلات الاجتماعية فيما يخص المعايير والأدوار والاتجاهات النفسية.

٦. **عملية معقدة ومتعددة الأبعاد:** تستهدف مهام كبيرة وتستخدم أساليب ووسائل متنوعة لتحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.

٧.**عملية تعتمد على الفروق الفردية:** فنجاح التنشئة الاجتماعية يتوقف على التفاعل بين استعدادات الفرد وبيئته الاجتماعية والمادية، مما يؤدي إلى تقبله للمعايير والقيم التي يرضى عنها المجتمع.

وتهدف عملية التنشئة الاجتماعية، على اختلاف الثقافات، إلى مجموعة من الغايات الأساسية التي يتفق عليها الباحثون والمهتمون بهذا المجال، فهي تسعى إلى مساعدة الطفل على جعل ثقافة المجتمع جزءًا من خبراته الاجتماعية التي يكتسبها داخل الأسرة والمدرسة والبيئة التي يعيش فيها، بما يضمن له التكيف مع محيطه والتأقلم مع متغيراته. كما تهدف إلى تحقيق الاستقلالية الذاتية للفرد عبر تعزيز ثقته بنفسه وقدرته على مواجهة مواقف الحياة المختلفة والتعامل مع مشكلاتها والمشاركة الفاعلة في اتخاذ القرارات. وتتجلى غاية أخرى للتنشئة في تعليم الناشئة المعايير الاجتماعية والقيم والعادات والتقاليد والضوابط التي تحدد ما هو مقبول أو مرفوض في السلوك والممارسات اليومية، بما يعزز قدرتهم على التفاعل الإيجابي مع الآخرين. كذلك تعمل التنشئة على غرس الهوية الوطنية والقومية في نفوس الأجيال بما يتناسب مع قدراتهم وثقافة مجتمعهم؛ إذ إن غياب هذه الهوية يقود إلى ضياع الذات وفقدان الخصوصية التي تميز المجتمع. كما تهدف التنشئة إلى الانفتاح على ثقافات الشعوب الأخرى دون المساس بالانتماء الأصلي، وإلى غرس الطموح في نفس الطفل لتحقيق النجاح في الحياة باعتباره مطلبًا اجتماعيًا واقعيًا تفرضه التربية الحديثة. ولا يقتصر دورها عند هذا الحد، بل تسعى أيضًا إلى تعليم الناشئة أدوارهم الاجتماعية بما يتلاءم مع ثقافة المجتمع، وصولًا إلى التكيف الأمثل مع البيئة المحيطة. وأخيرًا، فهي تركّز على تحويل روح التنافس الفردي إلى تنافس جمعي تعاوني، بحيث لا تقتصر الفائدة على الشخص وحده، بل تعود بالخير على الجماعة بأكملها . (جعنيني، ٢٠٠٩، صفحة ٢٤١) وتُعدّ وظائف التنشئة الاجتماعية عملية أساسية يكتسب الفرد من خلالها شخصية مجتمعه وثقافته، فهي ليست مجرد تعلم آلي بل عملية تربوية يشارك فيها كل من له صلة بالطفل، سواء كان الأب أو الأم أو الأخ أو المعلم. ومن خلالها يجري تشكيل الفرد وفق نموذج اجتماعي وثقافي محدد يمكّنه من النمو السليم وتحقيق الاتزان الداخلي والتكيف مع المجتمع وثقافته، بما يساهم في استقراره واستمراره. وتقوم التنشئة أيضًا بوظيفة ضبط السلوك وإشباع الحاجات؛ إذ يتعلم الطفل اللغة والعادات والمعاني والمواقف وأساليب إشباع رغباته وحاجاته المختلفة.

وكما يخضع لآليات الضبط الاجتماعي التي تستند إلى مجموعة من الإجراءات والقواعد، والتي تهدف إلى توجيه سلوكه الاجتماعي وتنميته في إطار القيم والمعايير السائدة. أما على

مستوى بناء الشخصية، فتلعب التنشئة دورًا محوريًا في تأكيد الذات وصياغة الهوية الفردية، حيث ينتقل الفرد من كونه مجرد كيان بيولوجي غير متميز إلى إنسان يمتلك خصائص وسمات إنسانية تميّزه عن غيره، ليصبح عضوًا فاعلًا في المجتمع. (زكي، بدون سنة، صفحة ٤٦) ومؤسسات التنشئة الاجتماعية عبارة عن مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي تشكل مراجِل ومحطات التجارب الأولى للتنشئة الاجتماعية مثل العائلة، والرفقاء، او مجموعات الأقران، والدين المعتقدات الدينية، ووسائل الإعلام كل هذه الوسائل تنتقل التوجهات وتعزز المعايير. يعمل على تعريف التلميذ على معتقداتهم وقيم المجتمع. (احمد ح.، ٢٠١٢، صفحة ٥٦) ومن اهم المؤسسات التنشئة الاجتماعية هي:

١. الاسرة

تقدم العالم أوجست كونت لتقديم مفهوم الأسرة: بأنها الخلية الأولى في جسم المجتمع وهي النقطة التي يبدأ منها في التطور ويمكن مقارنتها في طبيعتها وجوهر وجودها بالخلية الحية في التركيب البيولوجي للكائن الحي، وهي أول وسط طبيعي واجتماعي ينشأ فيه الفرد ويتلقى عنه المكونات الأولى لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعي. (بدوي، ١٩٩٣، صفحة ١٥٢) كما تعرف الأسرة بأنها البيئة الاجتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل بتكوين ذاته والتعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ والعطاء والتعامل بينه وبين أعضائها. (محمد، ١٩٨١، صفحة ٨٢). والاسرة كنظام اجتماعي تُعد نواة المجتمع وأبسط أشكاله، فهي الوحدة الاجتماعية الأولى التي وُجدت بأشكال متعددة في جميع المجتمعات وعبر مختلف الأزمنة. وتمثل الأسرة إحدى الجماعات الأولية الصغيرة التي تتسم بعلاقات مباشرة وجهاً لوجه بين أفرادها. وقد أكد علماء النفس والتربية على دورها الحاسم، خاصة في المراحل المبكرة من حياة الطفل، حيث تبدأ شخصية الفرد بالتبلور من خلالها، ويتعلم أنماط السلوك والعادات والتقاليد الاجتماعية. وتظهر أهمية الأسرة من خلال ما تؤديه من وظائف أساسية يمكن إجمالها بما يلي : (جعنيني، ٢٠٠٩، صفحة ٢٥٢)

أ. **الوظيفة الاقتصادية:** توفير مقومات العيش الأساسية كالمأكل والملبس عبر الدخل المناسب.

ب. **الوظيفة البيولوجية:** إنجاب أفراد جدد لضمان استمرارية الحياة وتجديد قوى العمل والإنتاج.

ت. **الوظيفة الاجتماعية:** إكساب الأبناء خبرات متنوعة، وتعليمهم الأدوار الاجتماعية وقواعد التفاعل مع الآخرين.

ث. **الوظيفة التربوية:** تنشئة الجيل الجديد وإعداده، بمساندة مؤسسات المجتمع المختلفة.

ج. **الوظيفة النفسية:** المساهمة في تكوين شخصية الطفل وصياغة ملامحها الإيجابية والسلبية.

من أبرز ما يكتسبه الطفل خلال مراحل نموه هو تعلم كيفية استخدام الأشياء من حوله مثل الملابس، أجهزة الكمبيوتر، أدوات الطعام، الكتب والدراجات؛ إضافةً إلى تعلم كيفية التواصل مع

الآخرين سواء كانوا أفراد العائلة أو الأصدقاء أو الغرباء أو المعلمين أو الجيران. كما يتعرف على كيفية عمل العالم من حوله، وما يُعد واقعًا وما يُعد خيالًا، وبناءً على التجربة الشخصية كطفل، أو من خلال دورك في تربية الآخرين. ويمكن القول إن التنشئة الاجتماعية هي عملية متكاملة تقوم على التعليم والتعلم واكتساب العادات والتقاليد والقيم، فضلًا عن الاطلاع على أنماط متعددة من الأفكار والسلوكيات التي لا تنتهي. (نعيمة، ٢٠٠٢، صفحة ٥٨)

وتُعد القيم التي تسود داخل الأسرة محورًا أساسيًا في عملية التنشئة الاجتماعية. فإذا تربى الطفل في أسرة تُعلي من قيمة الحوار وتقدّر بناء العلاقات مع أشخاص ينتمون إلى أعراق وأديان وثقافات مختلفة، فإنه ينشأ مدركًا أن التنوع الثقافي يمثل عنصرًا إيجابيًا وضروريًا في المجتمع. أما إذا نشأ في بيئة أسرية يغلب عليها الخطاب والسلوكيات التي تُظهر تفوقًا واضحًا لجماعتها العرقية أو الدينية على حساب الآخرين، فسيتشكل لديه تصور بأن التعددية الثقافية قضية سلبية ينبغي الابتعاد عنها. ومع ذلك، قد نجد هذين الطفلين يجلسان جنبًا إلى جنب في نفس صف الروضة، على الرغم من اختلاف القيم التي غُرست في كل منهما. (العيسوي، ١٩٨٥، صفحة ٥٤). وتؤثر العديد من العوامل الاجتماعية على طريقة تربية الأسرة لأطفالها. فعلى سبيل المثال يمكن استخدام الخيال الاجتماعي لإدراك أن السلوكيات الفردية تتأثر بالفترة التاريخية التي تحدث فيها. فمثلا كان هناك عادات أن يضرب الأب ابنه بملعقة خشبية أو حزام إذا أساء التصرف، ولكن اليوم يمكن اعتبار هذا الإجراء نفسه إساءة معاملة للأطفال ويتنافى مع التربية الصحيحة. (احمد ح.، ٢٠١٢، صفحة ٢٦). وتعد الأسرة أصغر المجموعات الإنسانية حجمًا وأكبرها من حيث الأدوار التي تؤديها في المجتمع و الحضارة الإنسانية عمومًا لأنها مصدر التفاعل الإنساني والجسر الذي يصل بين الأفراد الخالصة وبين المجتمع والوالدين في العادة هما وكلاء الأوائل الذين يتولون عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية ويستجيب الطفل لوالديه ويستجيبان له وهذا من شأنه زيادة أواصر المحبة وتقوية روابط العلاقات الشخصية القائمة بين الطفل ووالديه، كما أن العلاقة بين الطفل ووالديه تعود بنتائج إيجابية للطرفين فهي تشجع الطفل على بناء علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين ويقاوم كل ما من شأنه أن يبعده عن الناس أو يدفعه إلى الانعزال والانسحاب. (عوض، بدون سنة ، صفحة ٦٥). إن جميع الأفعال والسلوكيات التي تصدر عن الوالدين، أو أحدهما، تترك أثرًا واضحًا وصريح في الطفل ونموه، سواء أكان ذلك بقصد التوجيه أم من خلال أساليب التربية مباشرة او غير المباشرة. فالفضائل الأخلاقية والسلوكية والوجدانية تُعدّ ثمرة من ثمار التنشئة الوالدية، وهي عملية تقوم

أساسًا على التفاعل الاجتماعي بين الطفل ووالديه وإخوته. وفيما يلي سنتناول دور كل طرف في تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه.

أ.ثأثير الأم في تكوين شخصية الطفل

ان نعكاسات الام على الطفل ومنذ اللحظة الأولى لولادته يكون متحدا بأمه عن طريق الغذاء وتتجلى أهمية أثر الأم في تكوين شخصية الطفل الملازمتها له حتى يكبر فهي تعتبر مصدر الحماية للطفل من تهديدات المحيط وهي المؤمن لمختلف حاجياته البيولوجية والنفسية إذ توفر له الغذاء ووسائل الراحة وتشكل للطفل مصدر العاطفة والحنان ومعروف أن اتصال الطفل بالعالم الخارجي المحيط به يتم عن طريق أمه من خلال مراحل الحمل والولادة والطفل يتأثر بأفكار أمه اتجاه ما يحيط به نتيجة تعلقه القوي وتأثره بها من جهة وتدور الأبحاث المتقدمة في علم النفس أن الجنين وهو في رحم أمه يتأثر بكل ما يصيبها وبأحوالها النفسية والاجتماعية المختلفة والأم هي التي تغرس في شخصية الطفل المبادئ الايجابية والعادات والأنماط السلوكية الفاضلة كالصدق والوفاء ، وهي التي تساعده على إثراء مخزونه اللغوي ونموه الانفعالي بالاتجاه السليم، ولعل ارتباط الطفل بأمه هو الذي يفسر لنا اضطراب شخصيته وعدم شعوره بالأمان في حال انفصاله عنها أو غيابها عنه فالطفل الذي يبتعد عن أمه يكون كتيبا وعاجزا عن التواصل مع الآخرين وقد تظهر لديه النزاعات العدوانية والسلوكات العنيفة. (عوض، بدون سنة ، صفحة ٦٥). وقد أوضحت معظم الأبحاث والدراسات وأكدت أهمية سلوك الم فى تشكيل السلوك عند الطفل وتطوره فقد أشار كل من جولد فارب سنة ١٩٤٣ و بويلي سنة ١٩٥٢ إلى أهمية دور الأم في عملية تطبيع ابنها الاجتماعي فقد أشار إلى أن الطفل عندما يلقى العناية بالحاجات الفيزيولوجية الأساسية له دون أن يلقى العناية نفسها بالجوانب الشخصية فإننا نلاحظ تعرضه لأثار خطيرة على خصائصه الشخصية ومستقبل حياته. وقد لاحظ بويلي من خلال أبحاثه بعض الآثار المترتبة على حرمان الطفل من الام والأب وأهمها: ضعف ذكاء الطفل، ضعف تحصيلهم الدراسي قدرة ضعيفة على إقامة علاقات مع الآخرين، تعرضهم المشاكل سلوكية، مثل القلق المخاوف التوتر العاطفي غير العادي. (عوض، بدون سنة ، صفحة ٦٩)

ب. تاثير الأب في تكوين شخصية الطفل

أن دور الأب قد حضا اهتمام أقل نسبيا مقارنة بدور الأم وكما يشير "يارو"فانه يوجد القليل من الأبحاث على أهمية دور الأب في نمو الطفل ولقد أشارت تلك الأبحاث إلى غياب الأب خلال فترة الرضاعة الأولى له تأثير غير مباشر على الطفل وحسب الدراسة التي أجراها كل من" لين" و"ساوري" سنة ١٩٥٩ في النرويج على أن أبناء بحارة السفن حيث كان الآباء يتغيبون من تسعة أشهر إلى سنتين وعدد هؤلاء الأطفال هو ٤٢ طفلا وتمت مقارنتها بأطفال كان آباؤهم متواجدين أغلب الوقت في منازلهم وقد أظهرت هذه الدراسة أن البنات اللاتي كان

آباؤهن متغيبين عن منازلهم كن أكثر اعتمادا على الآخرين مقارنة بالبنات اللاتي كنا آباؤهن حاضرين بالمنازل وكان الأولاد أكثر تأثيرا من البنات فقد كانوا غير متوافقين في علاقتهم مع جماعاتهم مقارنة بالأولاد الذين كان لهم علاقات ومصاحبات منتظمة مع أبائهم كما أنهم غير ناضجين إلى حد كبير في أنماط سلوكهم كانوا يتصرفون بطريقة رجولية مفتعلة ومبالغ فيها و في بعض الأحيان يتشبهون بالبنات في أنماط سلوكهم. (العناني، ٢٠٠٠، صفحة ٦٠). يُعدّ الأب في حياة الطفل رمزًا للسلطة ومصدرًا للقدوة، والمثال الأعلى الذي يسعى الطفل إلى تقليده، ولا سيما في المراحل الأولى من عمره. أن تأثير الأب في تكوين شخصية الطفل منذ السنوات الأولى، إذ إن تمسّك الأب بالقيم والمبادئ والأخلاق يجعله نموذجًا إيجابيًا يحتذي به الطفل ويعود نفعه على المجتمع، أما إذا افتقر الأب إلى هذه الصفات، فإنه يتحول إلى قدوة سلبية تؤثر سلبًا في سلوك ابنه. ومن ثمّ، فإن السلوك السويّ للأب يُعدّ عنصرًا أساسيًا لضمان توافق الطفل وتكيفه النفسي والاجتماعي؛ اذ تُعدّ الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يتفاعل الفرد من خلالها مع المجتمع، وهي البيئة الأساسية التي تتيح له الانتقال من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي قادر على تقدير الحياة الجماعية وضبط سلوكه بما يتوافق مع معايير الجماعة وقيمها. وننتقل للمدرسة، فهي المؤسسة الثانية التي تتولى مهمة التنشئة الاجتماعية، وتمتاز ببيئتها الاجتماعية المنظمة التي تجعلها من أهم المؤسسات المعنية بتطوير شخصية الطفل وتنمية قدراته الاجتماعية والسلوكية.

٢ .المدرسة

عرّف الفكر السوسيولوجي المدرسة بوصفها المؤسسة الاجتماعية الثانية في الأهمية بعد الأسرة، إذ أنشأها المجتمع لتضطلع بمهمة تربية الأفراد وتعليمهم. وتُعد المدرسة مجتمعًا مصغرًا يعكس المجتمع الأكبر، فهي تضم بين جدرانها أنشطة متنوعة وعلاقات اجتماعية متعددة، وتقوم علاقتها بالمجتمع على التبادل والتأثير المتبادل. كما تُعد وسطًا تربويًا مميزًا عن غيره من الأوساط الاجتماعية، نظرًا لما تحتويه من خبرات تربوية مقصودة، وتلعب دورًا أساسيًا في بناء النظام الاجتماعي ودعمه. (سلاطنية، بدون سنة ، صفحة ٢٠٢) . لذلك يرى إميل دوركايم أن المدرسة تمثل التعبير الأرقى عن المجتمع، إذ أوكل إليها مهمة نقل القيم الثقافية والأخلاقية والاجتماعية إلى الأطفال، باعتبارها عناصر أساسية في تشكيل شخصية الفرد الراشد وتهيئته للاندماج في محيطه وبيئته. فهي مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع خصيصًا لتأهيل الأجيال للحياة الاجتماعية عبر عملية التربية المنظمة. (زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ٢٠٠٢، صفحة ١٣٨). وبذلك تُعد المدرسة جزءًا أساسياً ومكملاً للنظام الاجتماعي، فهي تستمر في عملها إلى جانب بقية المؤسسات الاجتماعية داخل المجتمع. وتُعتبر حافظة للتراث الثقافي وناقلة له عبر الأجيال. وعندما تعجز بعض المؤسسات الاجتماعية عن أداء وظائفها بالشكل

المطلوب، أو تظهر مهام جديدة لا توجد جهة قائمة بها، تتحمل المدرسة هذه المسؤولية. فعلى سبيل المثال، عندما ينشغل الوالدان أو تعجز الأسرة عن تزويد الطفل بالخبرة المستقرة والدعم العاطفي، يُنتظر من المدرسة أن تسد هذا النقص. وإذا ضعف دور المؤسسات الدينية في غرس القيم الأخلاقية والدينية، تنتقل هذه المهمة أيضاً إلى المدرسة. وهكذا أصبحت المدرسة، في المجتمعات المعاصرة، طرفاً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه، حتى يكاد لا يوجد مجال من مجالات النشاط الإنساني إلا وتُسهم فيه المدرسة إسهامًا بارزًا. (دندش، ٢٠٠٠، صفحة ١٣٣و١٩٧). ويرى جون بياجيه أن من أبرز آثار المدرسة في العملية التربوية للطفل هو الحد من نزعة التمركز حول الذات التي يكتسبها داخل نطاق الأسرة. ففي المدرسة ينخرط الطفل في التفاعل مع المعلمين ويولي اهتمامًا بهم، كما يلتزم بالتقاليد المدرسية والنظم السائدة فيها. ومن خلال ذلك، تعمل المدرسة على تعزيز القيم والمعتقدات والاتجاهات الإيجابية التي تدعمها الأسرة، وفي الوقت نفسه تساهم في تصحيح بعض المفاهيم وإزالة العادات غير المرغوبة، فضلاً عن غرس أساليب التفاعل الإيجابي والبنّاء مع الآخرين. (زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ٢٠٠٢، الصفحات ١٤٧-١٤٨). وقد تتحول المدرسة أحيانًا من كونها مصدرًا للتحصيل والتعلم إلى ساحة صراع بالنسبة للطفل، وذلك عندما تتناقض قيمها مع القيم التي ترسخت لديه داخل الأسرة. فمثلاً، إذا نشأ الطفل في بيئة أسرية تمارس الكذب أو السب أو الغش وتتعامل معها كأمور طبيعية، ثم اصطدم في المدرسة بالعقاب والرفض لتلك السلوكيات، فإن ذلك يولد لديه حالة من التذبذب والارتباك في شخصيته، وقد يقوده هذا التناقض أحيانًا إلى مسارات منحرفة. (رشوان، ٢٠٠٥، الصفحات ٦٩-٧٦). وبناءً على ذلك تُعد المدرسة بالفعل الوكالة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة في مهمة التنشئة الاجتماعية للأطفال والأجيال الصاعدة، فهي تضطلع بدور محوري في إعداد الناشئة من الناحية الروحية والمعرفية والسلوكية والجسدية والأخلاقية والمهنية، بما يهيئهم لاكتساب عضوية المجتمع والمشاركة الفاعلة في أنشطته المختلفة. وتضطلع المدرسة اليوم بعدد واسع من المهام التربوية، من أبرزها: التربية الفنية بمختلف مجالاتها كالموسيقى والرسم والأنشطة الإبداعية، والتربية البدنية، إضافة إلى التربية الأخلاقية والروحية، والتربية الاجتماعية، فضلاً عن دورها الأساسي في تحقيق النمو المعرفي وتنمية القدرات الفكرية للأفراد. (وطفة، ١٩٩٨، صفحة ١٦١), وهذا يعدان احد الركائز الأساسية في بناء النسق المدرسي والذي يتدخل مباشرة في عملية التنشئة الاجتماعية هو المنهاج " والمقصود بالمنهاج هو الموضوعات المعينة التي تقرر السلطات التعليمية أن يدرسها التلاميذ في مرحلة تعليمية معينة كالمرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية ويشترط فيه أن يكون ملائما لمستوى نمو التلاميذ الفكري والعلمي. (تركي، ١٩٩٠، صفحة ١٨٩). وقد يعد تحليلات علماء الاجتماع الأوائل قليلة جدا، وذلك في مجال سوسيولوجيا المنهج بصفة عامة.

ومع ذلك فإن هناك بعض الاهتمامات السوسيولوجية الهامة التي يمكن إدراجها تحت ما يعرف بسوسيولوجيا المنهج، ومن أهم تلك الاهتمامات الدراسات التي قام بها إميل دور كايم الذي حاول بشتى الطرق أن يبرز نظريته عن التضامن الاجتماعي من خلال التركيز على النظام التعليمي والاهتمام بالمدارس، واختيار المناهج الدراسية الملائمة التي توجه السلوك الأخلاقي للتلاميذ، وتنمي فيها العادات والتقاليد الحسنة وغيرها من موجهات التنشئة الاجتماعية والتربوية، وقد كانت هذه الإسهامات تشير إلى كيفية ربطه بين النظام التعليمي والمدرسة والمجتمع المحلي في الوقت ذاته. (السيد، ٢٠٠٧، صفحة ٩٩). وقد ركز بارسونز على تحليل الأدوار والوظائف المختلفة للمدرسة والنظام التعليمي وذلك من خلال الاهتمام بالمناهج والمقررات المدرسية وقد حاولت هذه الدراسات أيضا التركيز على تحليل الدور المدرسي في التنشئة الاجتماعية، وبصفة خاصة مضمون المناهج الدراسية ودوره في تلك العملية. (السيد، ٢٠٠٧، صفحة ١٠١). وقد يبرز في هذا السياق الدور المحوري للمنهاج التربوي الذي يوجه الحياة المدرسية في عملية أساسية هي التنشئة الاجتماعية. فالمدرسة تعتبر جزء من المجتمع المحلي، وهي إحدى أهم المؤسسات في هذا المجتمع، فهي تبنى على أرضه، وتلاميذها هم أبناء الأسر التي تكوّن هذا المجتمع المحلي، ويلاحظ أن المجتمعات المحلية تختلف في ثقافتها وبالتالي يختلف التلاميذ في مجتمع محلي معين عن تلاميذ مجتمع محلي آخر، ولذلك ينبغي على المدرسة من خلال مناهجها التربوية أن تراعي هذه الاختلافات، وتكون مرنة في التعامل مع كل مجتمع محلي، حيث تلبي حاجاته الخاصة من عملية التنشئة الاجتماعية. فإذا كانت المناهج المطبقة تتكيف مع تجارب حياة التلميذ فهذا يساهم في تفعيل العلاقات التربوية نحو الأفضل، أما إذا كانت بعيدة عن تجاربه فإن ذلك قد يصعب العملية التربوية. (خواجه، ٢٠٠٥، صفحة ١٨٤) فالمدرسة ليست مكانا لنقل المعارف فقط بل " يجب على المدرسة أن تمثل نظاما لا يكتفي بمجرد نقل المعلومات وتحويلها، وإنما إلى تحقيق التفاعل والتكامل بين هذه المعرفة والوسط الذي يعيش فيه التلاميذ، حيث تتاح لهم فرصة تملك الوعي الأفضل لمدى تأثير أفعالهم في الوسط الذي يعيشون فيه. وهذا يعني العمل على بناء المدرسة التي ترتبط بالواقع ارتباطا عميقا وحيويا، بناء المدرسة التي ترتبط بطبيعة الحياة في الريف كما في المدينة. (الشهاب، ٢٠٠٤، صفحة ٦٠). وتعد المدرسة أهم مؤسسة تعنى بعملية التنشئة الاجتماعية وذلك لما تحتوي من بيئة تساهم في أداء هذا الدور إن المدرسة كنظام اجتماعي تختلف عن غيرها من النظم من حيث بينتها الاجتماعية التي تعكس نوعا خاصا من التفاعل الاجتماعي بين أفرادها. ذلك أنه تفاعل متمركز حول الأخذ والعطاء التعليمي وأنه بهذه الخاصية، يشكل الأساس للعمل المدرسي كله، ذلك العمل المتمثل في السلطة التعليمية، وفي العلاقات بين أفراد المجتمع المدرسي. (سرحان، ٢٠٠٣، صفحة ١٩٨). وأن هذه البيئة لما تحتوي من خصوصية تعمل آليا على

تشكيل الأطفال المنتمين إليها اجتماعيا لما تحويه من أدوات ووسائل ومناخ تربوي ينمي البعد الاجتماعي لدى الطفل المنتمي للمدرسة والمدرسة الحديثة أصبحت تراعي هذا الجانب. فهي لم تعد مكانا للتعليم فقط حيث لم تعد تكتفي بنقل المعلومات إلى الأفراد وحشو عقولهم بالمعارف بقدر ما تهتم بتربية الفرد من جميع مكوناته العقل والجسم والنفس والروح، وهكذا تحاول المدرسة أن تكون بيئة تربوية ينشأ فيها الفرد متزن الشخصية، مضبوط العواطف، عارفا ما عليه وما له، من حقوق وواجبات قادرا على خدمة نفسه ومجتمعه. (زعيمي، مؤسسة التنشئة الاجتماعية، ٢٠٠٧، صفحة ١٢٦).

٣.الجماعة والرفاق

اختلف العلماء والباحثون في تسمية الجماعة التي تضم الأطفال أو الشباب أو الراشدين، فالبعض يطلق عليها اسم جماعة الأقران، بينما يفضل آخرون تسميتها جماعة الأصدقاء او الرفاق، ورغم هذا التباين في التسمية، فإن جوهر المفهوم واحد، إذ يشير إلى شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي الذي يجمع الأفراد وفقًا لعلاقات التفاعل والتقارب في السن والاهتمامات والقيم.

ويشير مصطلح الرفاق إلى مجموعة الأطفال الذين يتشابهون المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، وفي صفات أخرى كالسن، وظهر حديثاً أتجاه مؤداه أنه يمكن تصنيف الأطفال في جماعة معينة على أساس تفاعلهم على نفس المستوى السلوكي من التعقيد، أكثر من التصنيف على أساس السن وذلك لأن السلوك يتوقف على مستوى نضج الطفل أكثر مما يتوقف على عمره الزمني. ولذلك نجد طفلاً متقدماً في السن، يلعب مثلاً مع أطفال أصغر منه سناً. (جادو، ٢٠٠٧، صفحة ٢٦٧). وأن هناك من يعرفها على أساس أنها جماعة تتألف من زمرة الأولاد يعوضون بتجمعهم ورفقتهم قصور الوسط العائلي وقسوة البؤس، بحيث تمثل لهم الجماعة قوة وقدرة، تشبع في نفس الوقت حاجتهم إلى الطمأنينة وتوطيد الذات فيشعرون بأنهم مترابطون. وقد يعرف: مجتمع تلقائي لم يقم أحد بتنظيمه، ولم توضع له قواعد أو تقاليد أو قوانين. (عامر، ٢٠٠٣، صفحة ٢١٨).

فهو مجتمعاً نابعاً من حاجة نفسية واجتماعية حقيقية، ويتميز بأنه مجتمع يستوعب بسرعة كل فرد جديد ينضم إليه، كما لا يتميز بالتفكير المنطقي، ولا يحس بالمسؤولية لدي وضع خططه.

وقد يعرف جماعة الرفاق استناداً الى مكوناتها الأساسية، فالرفيق بالمعنى الاجتماعي العام للكلمة هو: شخص يمكن أن تلتقي به على أساس المساواة النسبية باعتباره صديقاً. وهي. جماعة أولية صغيرة تتكون بشكل عفوي وتقوم على أساس تجانس في العمر والاهتمامات. (جادو، ٢٠٠٧، صفحة ٢٦٨). وتعد جماعة الرفاق أحدى الجماعات الأولية التي تؤثر في

سلوك الفرد واتجاهاته ، فبخروج الطفل من بيئته الأسرية إلى أول بيئة يتعامل معها في حياته والتي عادة ما تكون هي المدرسة ، يلتقي فيها بأطفال آخرين ذو اتجاهات وسلوكيات وقيم مغايرة لاتجاهاته وسلوكياته وقيمه ، داخل المجتمع الجديد يتعرض الطفل لتأثيرات زملائه حيث أنه يجد الفرصة للتقليد والتعلم واكتساب مبادئ وسلوكيات جديدة ، وقد يكون ما أكتسبه وتعلمه من مبادئ وقيم بناءة تساعده في تكوين شخصية سوية ، وقد تكون على النقيض تماماً حيث يكتسب سلوكيات منحرفة ومبادئ هدامة خارجة عن قيم وعادات مجتمعه والتي تعلمها فيما مضى داخل أسرته وبذلك يعرف طريقه إلى الانحراف ، معتبراً أن ما كان يعيشه وتلقنه له أسرته من اتجاهات وأفكار وسلوكيات ما هو إلا مجرد قيود أو ضغوطات فرضتها عليه. (شازال، ١٩٨٠، صفحة ٣٩) .

وان وظيفة جماعة الرفاق هذه الوظائف في العناصر التالية: (عامر، ٢٠٠٣، صفحة ٢٣١)

١-تنمية شخصية الفرد بصفة عامة وإكسابه نمط الشخصية الجماعية والدور الاجتماعي والشعور الجماعي.

٢-مساعدة الفرد على النمو الجسمي السوي، عن طريق إتاحة فرص ممارسة الهوايات، والمساعدة على النمو الانفعالي من خلال المساندة الانفعالية ونمو العلاقات العاطفية.

٣-تكوين وبلورة معايير اجتماعية معينة، وتنمية الحساسية والنقد نحو بعض المعايير الاجتماعية للسلوك.

٤-تهيئة الظروف النفسية والاجتماعية ليتمكن الفرد من أداه الأدوار الاجتماعية الجديدة ومهمة مثل القيادة.

٥-تنمية الولاء الاجتماعي في نفسية الفرد وتحفيزه على المنافسة مع جماعات أخرى.

٦-بناء اتجاهات نفسية اجتماعية إزاء الكثير من موضوعات البيئة الاجتماعية المحيطة.

٧-تنمية مجموعة من السمات الشخصية المهمة بالنسبة للفرد، كالاستقلال الذاتي، والاعتماد على النفس والاستماع للآخرين.

٨-تتيح للفرد الفرصة للقيام بعملية التجريب والتدريب على الأدوار الاجتماعية الجديدة وعلى تبني السلوك الجديد.

٩ -تقوم بوظيفة التصحيح والتقويم للسلوك المتطرف أو المنحرف لأفرادها من خلال النقاش والحوار والنقد الحر والمتسامح.

وتؤدي جماعة الرفاق أو الأصدقاء دوراً هاماً في تربية النشء وفي إكسابهم كثير من الأنماط السلوكية، وعادة ما يكون تأثير هذه الجماعة غير مقصود، فجماعة الأصدقاء يكون لها قيمها ومثلها وعاداتها وطرق تفكيرها ويكتسب أفرادها هذه العناصر بدون وعي، ويقوى تأثير هذه الجماعات في غياب الآباء والأمهات. (نبهان، ٢٠٠٨، صفحة ٢٥).

فان أثر جماعة الرفاق على التحصيل الدراسي، والتلاميذ المتفوقين أكثر انسجاماً مع رفاقهم، وبالتالي هؤلاء يتأخرون في الإلتحاق بمجموعة الرفاق، ويلتحقون بمجموعات قليلة العدد نسبياً (٢) – (٣) في الغالب ، وربما يتأخر عندهم النضج الاجتماعي ، كل ذلك لصالح التفوق الدراسي ، ومعظم التلاميذ الأوائل ينطبق عليهم ذلك ، حتى إذا كان لهم رفاق فإن الوقت الذي يقضونه معهم قليل نسبياً . وعكس ذلك التلاميذ المتأخرون دراسياً أقل انسجاماً مع أسرهم، وأسرع في الإلتحاق بمجموعات الرفاق وأكثر التصاقاً بهم، وتكون مجموعاتهم أكبر في العدد (٤ – ٥) في الغالب وأكثر نشاطاً وحركة وخاصة من حيث الوقت الذي يضيعونه في اللعب .وهنالك علاقة عكسية بين عدد الأفراد من جهة وبين متوسط درجة تحصيل أفرادها الدراسي، وفي نفس الوقت توجد علاقة عكسية أيضا بين عدد الساعات التي يقضيها الرفاق معاً وبين متوسط درجة التحصيل الدراسي. (زهران، علم النفس الاجتماعي، ١٩٨٤، صفحة ٤٥). وقد تتحد معظم معالم الشخصية وسماتها في الطفولة المبكرة، ثم تأتي المراحل التالية فتدعم أو تعيق هذه المعالم، ومن أهم المراحل التي تدعم ما بنى في الطفولة، أو تعيقه وقد تهدم أو تخرب بعضه، مرحلة الأقران، وسبب ذلك الطفل يريد أن ينتقل اعجابه من والديه ومدرسيه إلى الإعجاب بالرفاق، وكلما وجد في المجموعة عضو ذو شخصية قوية فإن أثره ينتشر على بقية الأعضاء، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، ومن الملاحظ أن انتقال الشر أسرع، لأن الهدم أسرع وأسهل من البناء. فالإعجاب يدفع إلى التقليد ويتقمص الفتيان شخصية زعيم المجموعة أكثر من تقمصهم الشخصيات الكبار، لأنه يظن أن تقليده لرفيقه مبني على حرية اختياره، وغير مفروض عليه من الكبار. وتبين من دراسات مقارنة أن الأطفال يستمدون السلوك والرأي من أصدقائهم في قضايا ومجالات حيوية مؤثرة، تتعلق بأنماط السلوك والملبس والبرنامج اليومي والهوايات، وكل هذه قضايا خطيرة ومتجددة تحدث تراكميا عبر الزمن وتتأسس عليها شخصية الطفل وسماته وطبائعه. (الدين، ١٩٨٢، صفحة ٢٦٩).

ثانياً: العوامل الثقافية

تُعدّ العوامل الثقافية من الأساسيات التي تقوم عليها حياة الإنسان داخل المجتمع، فهي التي تحدد طريقة تفكيره ونظرته للأشياء من حوله. فالقيم والعادات والتقاليد ليست مجرد مظاهر اجتماعية، بل هي عناصر تُوجّه السلوك وتؤثر في العلاقات بين الأفراد، كما تُسهم في بناء شخصية الإنسان منذ المراحل الأولى من حياته. وفي مرحلة التعليم الأساسي، يظهر تأثير هذه العوامل بشكل واضح، لأن المدرسة لا تقتصر على التعليم فقط، بل تعمل أيضاً على نقل الثقافة العامة للمجتمع من خلال ما يتعلمه الطالب من رموز ومعانٍ وسلوكيات. لذلك فإن دراسة القيم والعادات والتقاليد تساعد على فهم تمثلات الرمز داخل البيئة المدرسية، وكيف يكتسب الطفل من خلالها طرق التفكير والتعبير التي تنسجم مع ثقافة المجتمع العراقي.

١.القيم values

تلقاء مفهوم القيم اهتمام كبير من الباحثين في المجالات المختلفة كعلم النفس والتربية والفلسفة وأيضاً اهتم علم الاجتماع بدراسة القيم، وكثرت وجهات النظر بشأن تحديد القيم، الأمر الذي زادها غموضاً، وزاد من يتجه الي التحديد الضيق للقيم على انها مجردة اهتمامات او رغبات غير ملزمة للأفراد او الجماعات، وعلى الجانب الآخر هناك من بين معايير مرادفة للثقافة ككل، فمثلا نجد توماس يعرف الثقافة بأنها القيم المادية والاجتماعية لأي جماعة من الناس. (زاهر، ١٩٨٢، الصفحات ١٠-١١) وجاء في الانثروبولوجي أن مفهوم القيم هو معيار عام ضمني أو صريح، فردي أو جماعي، واتخاذ وفقا له قرارات من قبل الافراد أو الجماعة للحكم على السلوك الاجتماعي قبولاً أو رفضاً، فالقيم مقاييس اجتماعية، خلقية تقررها الحضارة التي تنتمي إليها أفراد المجتمع واحتياجاته وأهدافه في الحياة. (سليم، ١٩٨١، صفحة ١٠١٣) وكذلك يقدم رالف لينتون منظوره عن القيمة هي اي شيء يحمل اي قيمة او اي شيء ايجابي وطبقاً لهذا فان القيم هي اي شيء يمكن ان يؤثر على قرارات الفرد في مواقف الاختيار، واعتقد العالم روبن ويليامز ان القيم تشير الى الاهتمامات والرغبات والميول والتفضيلات والواجبات والاخلاقيات والمطالب والاهداف والحاجات وما يكرهه الناس وما يجذبهم ومختلف الانواع الأخرى من التوجهات المختارة. (القادر، ٢٠١٣، صفحة ٢٠). هنا قد نجد ان القيم افكار وتصورات واحكام ودوافع وأنها في الغالب تعبر عن شيء ايجابي ومرغوب فيه، ولها دور في التأثير على قرارات اختيارات الانسان، وأنها مبادئ وقوانين متعارف عليها اجتماعياً أي موضوع بواسطة المجتمع.

كما تختلف من مجتمع لآخر ومن جماعة لأخرى في ذات المجتمع، وهي بصفة عامة موجهين للسلوك الإنساني، ولم تتشر التعريفات للقيم ان هناك قيماً سلبية غير مرغوب فيها، وان هناك عوامل أخرى تختلف القيم تؤثر على اختيارات الانسان كالظروف البيئية والاقتصادية والكونية .... الخ، لذا الافضل نجد ان القيم أحد العوامل المؤثرة في اتخاذ القرارات المتعلقة بأهداف الانسان والمجتمع عموماً، كما لم تتشر التعريفات الى ان القيم رغم قوتها الاجتماعية وكونها ملزمة بحكم العادة والعرف والتقليد لا بحكم القانون الرسمي قد لا يلتزم بها بعض افراد المجتمع بل ويحاولون التخلص من سطوتها والتنصل منها قدر الامكان بل وقد يرونها معوقاً وليس موجها للسلوك. (القادر، ٢٠١٣، صفحة ٢١). لذلك ان القيمة ننظر لها على انها الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك، والقيمة بهذا المعنى تضع الأفعال وطرق السلوك على مستوى المقبول وغير المقبول. (ذياب، ١٩٨٠، صفحة ٥٢). وقد تعبر القيمة عن اهتمام واختيار وتفضيل يشعر الإنسان ان له مبرراته الخلقية والعقلية، لذا فأن القيم تعد من طبيعة معيارية. وقد عرفت القيم الاجتماعية بأنها الصفات التي يفضلها او

يرغب فيها الناس في ثقافة معينة وتتخذ صفة العمومية بالنسبة لجميع الإفراد، كما تصبح من موجهات السلوك او تعتبر اهداف له. (ميكشللي، ١٩٩٣، الصفحات ١٤٩-١٥٠). وحيث ان لا يستقيم أي مجتمع من دون قيم اجتماعية، وإذا فقدها فانه فقد بذلك أمنه واستقراره وتماسكه، كما ان القيم الاجتماعية تستمد قوتها وفعاليتها من مجموعة من المعايير والعادات والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع, (العسل، ١٩٩٧، الصفحات ٤٧-٤٨). قد تظهر القيم افكار توجد في عقول الناس ثم يتم اكتسابها وتشربها ثم نقلها بواسطتها، اذ نرى هذه الافكار متصلة بكافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بصورة متكاملة ومترابطة، كما تتوارث هذه الافكار اجتماعياً اي انها تكتسب في اطار المجتمع وتتأثر بكافة المؤثرات المحيطة بالإنسان وتنتقل من جيل لآخر خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، وبواسطة الاسرة وغيرها من المؤسسات المنوطة بهذه العملية، لذلك لما تتضمنه هذه الافكار من أثر ايجابي مرغوب فيه وينعكس في السلوك الإنساني، وطالما ان القيم تحكم علاقة الانسان بذاته وبالآخر فهي تتغير بتغير افكاره ومفاهيمه وبتغير علاقاته بالآخر، بمعنى انها قابلة للتغير إذا تغيرت العوامل الاجتماعية والظروف التي وجدتها، ويستثنى من هذه القيم الدينية المستمدة من الدين كالنظافة والطهارة والصدق والعفة والامانة و..... الخ من القيم التي لا تتغير مهما تغيرت مواقف الشعوب منها واتجاهاتهم. (القادر، ٢٠١٣، الصفحات ٢١-٢٢). تتقدم القيم على تحديد سلوك افراد المجتمع وتضم نشاطاتهم الاجتماعية فضلاً عن ان معايير الضبط الاجتماعي تستمد ميراث قوتها وفاعليتها من القيم الاجتماعية وفي الوقت ذاته تشكل قوة ممارسة لهذه القيم الاجتماعية. فالقيم الدينية والاجتماعية التي يتبناها الفرد وتحميه من الأعراف، لأنها تدعو الى المحبة والإخاء والعبادة والتعاون والإيثار والإحسان للغير. (ذياب، ١٩٨٠، صفحة ٧٣). ومن خلال ما تم استعراضه يتضح أن القيم تمثل الأساس الذي تُبنى عليه سلوكيات الأفراد وأنماط تفكيرهم داخل المجتمع، فهي تشكل الإطار المرجعي الذي يُوجّه التفاعل الإنساني في مختلف الميادين، ومنها الميدان التربوي، وبما أن المدرسة تعد بيئة اجتماعية وثقافية، فإن دراسة الرموز وتمثلاتها في التعليم الأساسي تمثل امتداداً طبيعياً لفهم القيم؛ إذ إن الرموز التعليمية تعد حوامل لتلك القيم ومعبّرات عنها في الممارسة اليومية داخل الصفوف الدراسية.

٢.العادات والتقاليد Customs and traditions

يعد العالم الاجتماع الأمريكي سمنر ر أول من قدم المتقدمة (في عام ١٩٠٦). وهو التأكد من أن العادات الشعبية هي قوى أساسية في داخل المجتمع، تنمو لا شعوريا، وكذلك تتقبلها الجماعة لا شعوريا. وهي تتضمن اتجاهاً معيناً في التفكير والسلوك، فهي باختصار جزاءات أخلاقية، يعرف العالم مالينوفسكي العادة هي اسلوب مقنن من أساليب السلوك يتم فرضه تقليدياً على افراد المجتمع المحلي. (هولتكوانس، ١٩٧٢، الصفحات ٢٤٦-٢٤٧) . واما في قاموس

الانثروبولوجيا المقصود بالتقاليد يطلق هذا المصطلح على المجتمعات التي تتصف بالصفات العامة لشدة المحافظة على تراثها القديم وتقاليدها الموروثة وتقاوم التغير الاجتماعي و الحضاري. (سليم، ١٩٨١، صفحة ٩٨٣). فان التقليد هو عرف يرتكز على الروتين، والواقع ان كل تقليد يميل الى تميز بعض التصرفات التي يشرعها ماضي غالباً ما يكون غابرا. (أيزار، ٢٠١١، صفحة ٣٨٦). وهنا قد تشكل العادات نوع من الممارسات الاجتماعية والثقافية التي تتخذ الطابع اليومي لارتباطها بما يقوم به الفرد في حياته اليومية من أعمال ونشاطات، فالعادات هي جوانب من السلوك الفردي والجماعي، المكتسبة عبر التنشئة الاجتماعية التي توضح سبل قيام بنشاط معين لدى كلا الجنسين. وتعد العادة سلوك منظم، يتعلمه الفرد مع الآخرين، ويؤديه بصورة رتيبة وعلنية، وتمارس العادة استجابة لمواقف محددة، وكلما تكررت ممارستها ازدادت رسوخا واستقرارا، وأصبحت ممارستها تلقائية ويسيرة، وتختلف العادة عن العرف من حيث أن الأولى عمل فردي، في حين أن الثانية عمل جمعي، يمارسه أفراد المجتمع كافة. (سليم، ١٩٨١، صفحة ٤٢٧). وتتجه العادة في سياقها الاجتماعي داخل أي وسط صورتين أو نوعين هما (العادات الفردية والعادات الجماعية). وتعد العادات الفردية هي كل السلوكيات الرتيبة والعلنية التي يقوم بها الفرد لاشتمالها على الخصوصية وارتباطها بشخص الفرد القائم بها، بمعنى أن اليومي يشتمل على سلوكيات تتصل بما هو شخصي نادرا ما يتشارك فيه، فهذه العادات بمثابة صورة الفرد التي يتعرف بها الآخر عليه وهي في نظر الفرد وسيلة للتماثل مع الآخر فالفرد في تفاعله مع الآخرين يكون صورة ذهنية أو رمز عن كل فرد تفاعلهم معه، وهذا الرمز قد يكون محببا أو غير محبب وطبيعة الرمز الذي أعطاه الفرد للآخرين هو الذي يحدد علاقته معهم. (حامد، ٢٠١٢، صفحة ١١٢). أما العادات الجماعية تعد ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبا اجتماعيا، بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتمارس إلا بالحياة في المجتمع والتفاعل مع أفراده وجماعاته، ومن أمثلة العادات الاجتماعية التي توضح الأسلوب الاجتماعي في التصرف عادات التحية، وطرق إجراء المحادثة وآداب المائدة، وآداب المجاملة المختلفة، كتقديم الهدايا وإرسال برقيات تهنئة في المناسبات السارة وطرق تناول الطعام وطرق الخطبة والزواج وتربية الصغار .... الخ، فكل هذه الأمثلة تعبر عن أساليب سلوك الجماعة نفسها من حيث كونها جماعة. (ذياب، ١٩٨٠، الصفحات ١٠٥-١٠٦). وقد يكمن بين العادات الفردية و الجماعية في أن العادات الفردية يمارسها الشخص بمفردة ، بينما تمارس العادات الجماعية على مستوى المجموعة، أين يكون الاتفاق الجمعي على شروطها وعناصرها وكيفية ممارستها عبر الحدث الاجتماعي أو الديني فالغاية من ممارسة هذه العادات بصورها المختلفة حسب رواد علم الاجتماع والأنثروبولوجيا تكمن في أنها تكشف عن الأساليب المتبعة من طرف الأفراد والجماعات في تشكيل واقعهم الاجتماعي وتبيان أشكال التفاعل الاجتماعي بينهم" أن الناس من

خلال التفاعل يتعلموا أن يتصرفوا بالطريقة التي يتوقعها الآخر منهم، ومن ثمة فهم يراعوا أن يكون سلوكهم مطابقا للأنماط السلوكية التي تحدث في المؤسسات والنظم الاجتماعية التي خلقوها وهم يعلمون أيضا أن الآخرين لديهم نفس التوقعات ". (حامد، ٢٠١٢، صفحة ١٢٦)؛ اذاً ان المجتمع لا يخلو من العادات الاجتماعية بين الإفراد، اذ تمثل ضرورة مهمة في حياة الإفراد، حيث تعمل على تنظيم نبض العلاقات الاجتماعية بين الإفراد، لذا تعتبر عاملاً مهماً في الضبط الاجتماعي لما لها من عمومية في خبراتنا وتأثرنا اللاشعوري بها. (احمد غ.، ١٩٩٧، صفحة ١٨١). وهنا قد أشار العالم دوركايم بان العادات الاجتماعية تكون مفروضة وملزمة، وان فرضها والتزامنا بها يشعرنا بالراحة في اطاعتها، ويفسر الزامية الفرد بالقيام بالعادات الاجتماعية بأنها العقل الجمعي) وان ذلك العقل الاجتماعي هو الذي وضع العادات الاجتماعية لكي يسير عليها الإفراد، لذلك يحتم على الإفراد ان يطيعوها ويحترمونها وكل من يحاول ان يخالفها يقابل بمقاومة تختلف في شدتها ودرجاتها على حسب نوع المخالفة وظروفها. (ناصر، ٢٠١١، الصفحات ١٣١-١٣٢) . وتؤدي التقاليد دوراً مهماً في تنظيم الحياة الاجتماعية وحفظ النظام والاستقرار داخل الجماعات والمجتمعات من خلال فرضها العقوبات على كل من يحاول الخروج او الانحراف عن المعايير الجماعية، وقد تبلغ تلك العقوبات حد الخلع او الطرد من الجماعة ضرورة ملحة، وبذلك شكلت التقاليد اطاراً مرجعياً للسلوك عن طريق تحديدها الأساليب الاجدى في التعامل مع الآخرين (شروخ، ٢٠٠٤، صفحة ١٩٤). وينظر للتقاليد والقيم الاجتماعية التي يرتضيها الناس ويعملون بها ينبغي ان تحفظ اذ لم تتعارض مع احكام الدين لان وجودها يمثل محور تلتفت حوله الامة. لذا فان الجزاءات التي تفرضها العادات والتقاليد الاجتماعية اما إيجابية تأخذ شكل مكافأة او استحسان عام، او سلبية تأخذ شكل استهجان او نبذ او سخرية او توبيخ. (الصالح، ٢٠٠٤، صفحة ١٩٢).

وبذألك تبرز العادات والتقاليد كإطار يوجه سلوك الافراد وينظم تفاعلاتهم، بما ينعكس على الطرق التي يستوعب بها الرموز والقيم داخل البيئة التعليمية.

الخاتمة

فقد أظهرت الدراسة أن جميع هذهِ الرموز التربوية عملت داخل المدرسة وساهمت في تشكيل السياق الاجتماعي والثقافي الواسع، كما وتأثرت بمجموعة من العوامل مثل العادات والتقاليد المحلية والخطاب الديني والأسري، فضلاً عن التحولات المعاصرة المرتبطة بالتطور التكنولوجي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي. مما أعادة ترتيب الصورة المُتعارفة للمُعلم ومكانتهُ الرمزية على عدة عوامل متفاوتة، لذلك أستدعى هذا الجانب صدداً من الاهتمام لدراسة هذهِ التحولات وفهم آثارها في العملية التربوية مع تغيرها المُستمر والمتسارع وفق كل ما يعيشهُ المجتمع من تغيرات كل بضع سنوات.

المراجع

أبراهيم العسل. (١٩٩٧). *الأسس النظرية الأساليب التطبيقية في علم الاجتماع* (ط١). عمان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

أبراهيم ناصر. (٢٠١١). *علم الاجتماع التربوي* (ط١). عمان: دار زأئل للنشر والتوزيع.

احمد زكي بدوي. (١٩٩٣). *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية* . لبنان: مكتبة لبنان .

السيد عبد القادر شريف. (٢٠٠٤). *التنشئة الاجتماعية للطفل العربي* (ط٢). مصر: دار الفكر العربي.

اليكس ميكشللي. (١٩٩٣). *الهوية*. (ت: علي وطفة، المترجمون) دار النشر الفرنسية.

ايكة هولتكوانس. (١٩٧٢). *قاموس مصطلحات ،الاثنولوجيا و الفولكلور* (ط١). (ت : محمد الجوهري و حسن الشامي، المترجمون) مصر: دار المعرف.

بيار بونت ، ميتشال أيزار. (٢٠١١). *معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا* (ط٢). (ت : مصباح الصمد، المترجمون) بيروت: الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد.

جان شازال. (١٩٨٠). *الطفولة الجانحة* (ط٢). (ت: أنطوان عبده، المترجمون) بيروت: منشورات عويدات.

حامد عبد السلام زهران. (١٩٨٤). *علم النفس الاجتماعي* (ط٥). القاهرة: عالم الكتب.

حامد عبد السلام زهران. (١٩٨٨). *علم النفس الاجتماعي* (ط٤). القاهرة: عالم الكتاب.

حسين عبد الحميد احمد. (٢٠١٢). *التنشئة الاجتماعية* . مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .

حسين عبد الحميد رشوان. (٢٠٠٥). *التربية والمجتمع*. مصر: مؤسسة شباب الجامعة.

حنان عبد الحميد العناني. (٢٠٠٠). *الطفل و الاسرة والمجتمع* . عمان : دار الصفاء للنشر والتوزيع .

خالد حامد. (٢٠١٢). *مدخل الى علم الاجتماع* (ط٢). الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.

رابح تركي. (١٩٩٠). *أصول التربية والتعليم* (ط٢). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

رشاد صالح دمنهوري وعباس محمود عوض. (بدون سنة). *علم النفس الاجتماعي نظريات وتطبيقاته* . مصر: دار المعرفة الجامعية .

سلوى السيد عبد القادر. (٢٠١٣). *الانثروبولوجيا والقيم*. مصر: دار المعرفة الجامعية.

سميح ابومغلي واخرون. (٢٠٠٢). *التنشئة الاجتماعية للطفل*. الاردن: دار اليازوي العلمية للنشر والتوزيع .

شاكر مصطفى سليم. (١٩٨١). *قاموس الانثروبولوجيا* (ط١). جامعة الكويت.

صالح محمد علي أبو جادو. (٢٠٠٧). *سيكولوجية التنشئة الاجتماعية* (ط٦). عمان: دار المسيرة.

صلاح الدين شروخ. (٢٠٠٤). *علم الاجتماع التربوي* (ط١). عنابة: دار العلوم للنشر والتوزيع.

ضياء زاهر. (١٩٨٢). *القيم في العملية التربوية* (ط٢). القاهرة: مؤسسة الخليج العربي.

طارق السيد. (٢٠٠٧). *أساسيات في علم الاجتماع المدرسي*. مصر: مؤسسة شباب الجامعة.

عادل عز الدين. (١٩٨٢). *علم نفس النمو*. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية .

عبد الرحمن العيسوي. (١٩٨٥). *سيكولوجية التنشئة الاجتماعية* . مصر : دارالفكر العربي .

عبد العزيز خواجه. (٢٠٠٥). *مبادي في التنشئة الاجتماعية*. الجزائر : دار الغرب للنشر والتوزيع.

علي اسعد وطفة. (١٩٩٨). *علم الاجتماع التربوي وقضايا الحياة التربوية المعاصرة*. الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

علي اسعد وطفه و علي جاسم الشهاب. (٢٠٠٤). *علم الاجتماع المدرسي* (المجلد ط١). لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

علي بوعناقة وبلقاسم سلاطنية. (بدون سنة). *علم الاجتماع التربوية(مدخل ودراسة القضايا والمفاهيم)*. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

غريب السيد احمد. (١٩٩٧). *علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية* (المجلد ط١). جامعة الإسكندرية: دار المعرفة.

فايز مراد دندش. (٢٠٠٠). *علم الاجتماع التربوي بين التاليف والتدريس* . الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

فوزية ذياب. (١٩٨٠). *القيم والعادات الاجتماعية، مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية* (المجلد ط٢). بيروت: دار النهضة العربية.

لبيب النجيحي محمد. (١٩٨١). *الاساس الاجتماعي للتربية* . لبنان : دار النهضة العربية بيروت

مجيد حميد عارف. (١٩٩٠). *الانثربولوجيا التربية*. جامعة بغداد: طبع بمطابع التعليم العالي.

محمد فتحي عكاشة و محمد شفيق زكي. (بدون سنة). *مدخل الى علم النفس الاجتماعي* . الاسكندرية : المكتب الجامعي الحديث.

محمد محمد نعيمة. (٢٠٠٢). *التنشةالاجتماعية وسمات الشخصية* . الاردن : دار الثقافة العلمية للطباعة والنشر والتوزيع .

مراد زعيمي. (٢٠٠٢). *مؤسسات التنشئة الاجتماعية*. منشورات جامعة باجي مختار .

مراد زعيمي. (٢٠٠٧). *مؤسسة التنشئة الاجتماعية* (المجلد ط١). الجزائر: دار قرطبة.

مصباح عامر. (٢٠٠٣). *التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية*. الجزائر: دار الامة.

مصلح الصالح. (٢٠٠٤). *الضبط الاجتماعي* (المجلد ط١). عمان: طبع دار الصادق.

معن خليل العمر. (٢٠٠٤). *التنشئة الاجتماعية* (المجلد ط١). القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع.

منبر المرسي سرحان. (٢٠٠٣). *في اجتماعيات التربية* (المجلد ط٤). لبنان: دار النهضة العربية.

نعيم حبيب جعنيني. (٢٠٠٩). *علم الاجتماع التربية المعاصر بين النظرية والتطبيق* (المجلد ط١). دار وائل للنشر.

يحيى محمد نبهان. (٢٠٠٨). *الأساليب التربوية الخاطئة واثرها على التنشئة الطفل*. الأردن: دار البازوري للنشر والتوزيع.